

كتاب المواهب الإلهية



لفضيلة الأستاذ

أحمد سعد العقاد

من طلاب الإمام المعاصرين له

طبع بمطبعة جريدة الفيوم في ربيع الثاني ١٣١٣ هـ الموافق مارس ١٩٤٤ م



الإمام المُجَدِّدُ

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩ - ١٩٣٧ ميلادية

www.abul-azayem.com

Version 1 / March, 2007

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

هذه كلمة أبين فيها بعض مناقب أستاذنا السيد محمد ماضى أمام السادة الصوفية وإن كانت مزاياه لا يحصيها كلام.

شمس تضىء لعاشق وموال	تهدى المرید إلى سبيل كمال
كنز ثمين للسعادة والغنى	للمراغبين وخيرة الأبدال
لمن على قدرى أقول موضحاً	ملاح لى من ظاهر الأحوال
ماضى العزائم رحمة وهداية	للعالمين من الولى الوالى
بشرى لمن فازوا برؤية وجهه	ولتابع فى القول والأعمال
الله يحفظ سره ويصونه	فى آله الأَطهار فى الأجيال

اللهم أمدنا بالنفحات العزمية وانشر هذا النور فى سائر الآنام.

مقامات الرجال

مقامات الرجال كثيرة وأعلىها رتبة الصديقية، ويليهما رتبة الفرد الجامع بين سر المكانة ورفيع المقام، ثم رتبة الأبدال للحضرة النبوية، ثم رتبة الأنجاب الذين ثبت الله لهم الأقدام.

ومن العارفين من ورث من رسول الله صلى الله عليه وسلم البيان فكان ناطقاً بالحكم الجليلة، ومنهم من تدبر في الآيات الإلهية فتمتع بحبيبه والناس نيام، ومنهم من ورث النور في سمعه ففقه الأسرار القرآنية، وتجلي له الرحمن في نور الكلام، ومنهم من اتصل قلبه بالحضرة المحمدية، فانفتحت عين بصيرته وشهدت من التجلي ما تعجز عن الإفهام، والوارث المحمدي من ورث كل الحقائق النورانية، فسرى المدد المحمدي في جميع جوارحه فكان في عصره إمام.

وقد جمع الله الميراث في أستاذنا السيد محمد ماضى، إمام السادة العزمية فكمّل تلاميذه وجمّلهم وساقهم من الحوض المحمدي صافي المدام، فهنيئاً لمن رآه فهو كنز واسع العطية، وبشرى لمن أحبه مع التشبه والاستسلام.

كلام أستاذنا حكمة

إن كلام الأستاذ دواء للقلوب والنفوس البشرية، قال: (ذرة من أعمال القلوب خير من أمثال الجبال من عمل الأجسام، لأن نظر الله إلى القلوب وحركتها الخفية، ومن وقف عند حركات الأجسام فهو جاهل بالأحكام، فالقلب الذى فيه رحمة على العوالم الكونية، هو الذى تخلق بأخلاق الله ونال المرام).

سيرة الإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم رضي الله عنه

نسب سماحة السيد محمد ماضى أبو العزائم:

أما نسبه الشريف الحائز لكل مفخرة بهية، المتصل بسيد ولد عدنان، هو السيد محمد بن السيد عبد الله ثمرة الشجرة النبوية، وقد أشتهر بماضى أبو العزائم وعم صيته الأكوان، وأصله من عين ماضى بلدة بالمغرب كما روى ذلك أهل البرهان، وعين ماضى منسوبة لجده لأنه حفر بها بئراً فكانت حلوة روية، فتبرك بها الناس وسكنوا حولها وكثر بها العمران. أما نسبه من جهة أمه فإنه يتصل بالسيد عبد القادر الجيلانى إمام الطريقة القادرية، فقد اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم من الأب والأم فكان الكنز المصان.

مولد سماحة السيد محمد ماضى أبو العزائم:

ولما أراد الحق أن يتجلى على أهل هذا العصر بالنفحات القدسية، ويفتح كنوز حبيبه طه سيد ولد عدنان، قدر سبحانه أن يغيث النفوس المتلهفة إلى فهم الحقائق الروحية، لأن الطريق قد اندثرت معالمه ولم يبق إلا اسم طريق وإخوان، وكان الزمان قد كثرت فيه الأمراض القلبية، وأصبح كل سالك حيران، وقد مرضت النفوس فزل قدمها من حب المادة والعقائد الفلسفية، وصار الخلق يحقرون أهل الطريق لما يشاهدون من التقصير والنقصان، فمنح الله أهل الوقت أعظم نعمة وأكبر هدية، وهى ميلاد وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم منقذ الحيران.

وقد كان ميلاده معجزة لرسول الله حيث كان فى زمان الفتن الظلمانية، فقد ظهرت أنوار هيمت القلوب وهزمت الشيطان وقد فرح أهل الوجود، وتمت له المسرات السعودية، بقدم مجدد السنة بالعمل واللسان، لا تفرح بقدم المادة فهى كمال للحيوانية، ولكن افرح بمجىء العارفين فهم حياة القلوب وحصون من النيران، ومن علامة الإيانه الفرح بأولياء الله

وخصوصاً من جاء بالفتوحات الإلهية، فإنه يدلنا على سبيل الرضا والرضوان، ويجب على كل مسلم أن يجدد ذكرى العارفين فهم أهل المزية، فإن ذلك يرضى الله ورسوله ويقوى الإيمان، وولد عليه السلام ببلدة رشيد في حدود الديار المصرية، وكان ذلك في سنة ألف ومائتين وست وثمانين من هجرة أشرف بنى الإنسان، وكان الميلاد ليلة سبع وعشرين من رجب الموافق لليلة الإسراء البهية، فكان مبشراً بالنور منبها للأذهان.

نشأة السيد أبو العزائم:

نشأ عليه السلام بمحلة أبو على مركز دسوق ففاز المفاخر العلية، والعناية تحفه في كل زمان ومكان، ولما وصل إلى سن الثمانية حفظه والده القرآن والمتون الدينية، فكان يلوح عليه الفتوح من الملك الديان، وكان لوالده زاوية بجوار منزله لإقامة الشعائر الشرعية، فكان السيد محمد ماضى يتعهدا بالنظافة والآذان، وكان في تلك البلدة رجل من أهل الجذب والولاية الخصوصية، وكان يقول للسيد محمد ماضى سيفتح الله لك باب المعارف فتكون فريداً في الزمان، وقد كان عليه السلام يحب كل أهل الطريق وخصوصاً أهل البلية، وقال عليه السلام: كلما رأيت رجلاً مبتلى حنت روحى إليه مهما كان.

ولما حفظ القرآن والمتون توجه إلى الأزهر الشريف ليدرس العلوم الشرعية، فكان فارساً سباقاً متفوقاً على الأقران، ثم توجه إلى مدرسة دار العلوم فدرس العلوم الرياضية والمباحث العقلية، فجمع بين المعقول والمنقول حتى صار إمام الزمان، وقد اختصته العناية بالمعارف الواسعة والمزايا الوهبية، فكان ينظر في آيات الله ويغوص في بحار القرآن، ولما كملت دراسته طلبته وزارة المعارف مدرساً بمدرسة الشرقية، فكان ذلك ابتداء شروق شمس ودخول الميدان، وكان حريصاً على أنفاسه في البكرة والعشية إذا انتهى من عمله توجه إلى المساجد ليرشد الخلق إلى سبيل الرضوان، وكانت عبارته في المواعظ حلوة وطلعت بهية، وله تأثير على النفوس بنور البيان، فاجتمع حوله أهل النفوس المتعطشة إلى فهم الحقائق الربانية، وذاقوا من المعارف والدقائق ما لم يخطر على الأذهان.

ومن فتح له الله الكنوز والمواهب العزمية، هو الأستاذ الشيخ محمد الصبيحي المشهور بالعلم والإيمان كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عالماً عاشقاً لعلوم الصوفية، وكان يبحث عن الأستاذ العارف المخصوص بوراثته طه صفوة الرحمن، فلما تقابل بالأستاذ وسمع كلامه وذاق إشارته العلية، تأكد أنه ظفر بالضالة المنشودة التي من دونها نعيم الجنان، فأقبل بكليته على خدمة الأستاذ وضحى بحيثياته الشخصية، فنال مكانة اغتبطه عليها جميع الإخوان.

وقد صار الصبيحي منجذباً لله بالكلية، حينما نظر له الأستاذ فأشرفت عليه الأنوار، كان كبير السن جليل القدر لا يرى في إخوانه أقل منه مع مواهبه العلمية، غرق في بحار التوحيد فتجلى له المبدىء المعيد فطهره من الأغيار، وقد خصه الأستاذ برتبة المحبوبة، وأباح له من العلوم غوامض الأسرار.

وقد كتب له الأستاذ جواباً يقول فيه: يا صبيحي... أعلم أن القرآن جنة المعارف الشهودية، وقد انبع الله فيه أربعة أنهار...

النهر الأول: الماء... وهو أحكام الشريعة الظاهرية.

النهر الثانى: اللبن... وهو التدبر فى آيات الله وما فيها من الحكم المطوية، فهو غذاء القلوب التى فازت برضاء الغفار.

النهر الثالث: الخمر... وهو شهود التجليات الإلهية، وهو غذاء الأرواح التى فازت برفع الستار.

النهر الرابع: العسل... وهو مقام أهل التمكين الذين تخصصوا بالنفخة القدسية، فكانوا أقطاباً عليها المدار، فأعط لكل إنسان ما يناسبه بالحكمة الإلهية، فالقرآن رحمة للمقصر والبار.

وقد كان للشيخ الصبيحي أحوال وكرامات علية، لأن سر الأستاذ يظهر فى تلاميذه الأخيار، وقد آخا بينى وبينه الأستاذ ووضع يدي فى يده وهى سنة نبوية، ودعا لنا بالخير فشهدنا فى دعائه الأنوار.

جماليات الرجل وكمالاته

أما جمالات الرجل وكمالاته فلا تحصى بالعبارة القولية، وكيف يحصر اللسان ميراث سيد المرسلين، ورث من الرسول ﷺ العقيدة التوحيدية، فكان إذا تكلم في التوحيد هامت الأرواح وصعقت الأشباح وطاب الأنين، ورث من رسول الله ﷺ الأخلاق فكان يشرحها ببيانه ويؤيدها بحاله وأعماله الجليلة، فكان يؤثر الإخوان بلطفه ورحمته ويتواضع للمساكين، ورث العبادات فكانت حركاتها كلها مرضية، حتى يتحير الإنسان من قوة صبره وجهاده فيحكم بأنه بشر في الصورة وفي العبادات من الملائكة المقربين، ورث المعاملة فكان يعامل الإخوان بالنصيحة الأبوية، يتعهدهم ويفرح بزيارتهم كأنهم أعطوه الكنز الثمين، كان له مع كل فرد من الإخوان معاملة على قدر وسعته الفطرية، كان يخاطب كل إنسان على قدر عقله وينزل له على قدر فهمه حتى صار محبوباً للأمين والمتعلمين، كان يؤلف العاصي باللين ويكشف له عن وسعة كرم الله في البرية، فيصبح ببركته من التائبين، كان يؤلف المسيحيين ويرحب بهم ويذكر لهم أن النبي أوصى أمته بالإحسان إلى الأمة المسيحية، ويشرح لهم جمال الإسلام حتى تخالط قلوبهم بشاشة الدين، ولقد رأيت سيدة فرنسية أسلمت على يديه ونالت المراتب النورانية، وصارت تحيي الليل وتكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ حتى اغتبطها كبار المريدين.

إن الله تعالى جمل الأستاذ ظاهراً وباطناً بالحلل النورانية، فقد أعطاه صورة مجملة تخطف القلوب بباهر الجمال، من رآه أحبه لأن الله ألقى عليه محبة منه بهية، ومن نظر إليه أهابه لما لديه من الجلال، إذا حدثك رأيت الدرر الغالية التي تؤثر على اللطائف القلبية، وتشهد من معاملته أخلاقاً تجذبك إلى الوصال، إذا رأى أحداً من الحاضرين ركن ظهره إلى حائط المكان، قال له: تباعد عنها ففي طيها رطوبات مؤذية، وإن شعر بالسعال من أحد الحاضرين دعاه وقربه وأسعفه بدواء السعال، ليتعهدوه في سائر الأحوال، ويتوجه بنفسه

ليراه ويصف له الدواء المناسب لحالته الصحية ويكرر السؤال، يتعهد الفقراء بالمودة الروحانية والمادية، وينادى أين فلان؟ ويقربه منه ويقول: التواضع للفقراء من أعظم معارج الرجال.

ولقد كان يوماً عنده كامل باشا جلال يسمع النصائح الدينية، فدخل عليه رجل فقير يلوح عليه سيما الكمال، فقال الأستاذ: يا كامل باشا وسع لأخيك فهذا ممن لهم الدولة يوم المواقف الحشرية، وقام الأستاذ وعظمه حتى التفت إليه الأنظار بالسؤال.

ومما يذكر ويهيم القلوب في مكارم الأستاذ وملاحظاته للدقائق الخفية، أننى كنت جالساً بين يديه في الدرس وبجانبي ولده السيد أحمد والأستاذ يشرح مقامات القرب والوصول، فقال الأستاذ: يا سيد أحمد قم حضر كذا وهى حاجة خصوصية، فقام السيد أحمد وصار الأستاذ يبين مقام المحبوبة، فقال لى: إنى أمرت السيد أحمد بالقيام لأنى خشيت أن أميزه بنظرة أبوية، فيعاتبنى رسول الله ممد الرجال، لأنه يلزم للداعى أن تكون دعوته مجردة من العواطف خالصة لله بالكلية، يستوى الابن والأخ والقريب والبعيد بحسب كل حال، ولقد كان الأستاذ يبحث عن الضيوف بنفسه ويتعهد المستريح فى نومه بدقة خفية، فكان ينزل وقت السحر متخفياً ويشاهد بنفسه ذات اليمين وذات الشمال.

ولقد كنت عنده فى ليلة من ليالى مولد خير البرية، وكان عدد الإخوان كثيراً وكانت الرطوبة قوية، فنزل ﷺ وأيقظ الخدام وأحضر الغطاء ووضع على بيده الشريفة وقال: هؤلاء ضيوف رسول الله نقدمهم على الأهل والعيال.

اللهم جملنا بجمال إمام السادة العزمية وأمدنا بمدده فى سائر الأحوال.

منح الله الأستاذ بإمدادات مؤيدة بروح قدسية، كان إذا دخل عليه الفيلسوف يتكلم معه

بالفلسفة حتى يقر له بأنه فيلسوف الإسلام.

وإذا دخل عليه فقيه أو من يمارس العلوم العقلية يخاطبه من جنس كلامه حتى يندهش من فصاحة الكلام.

وإذا دخل عليه سياسى تناقش معه بالأدلة القوية، وبين السبيل حتى يعتقد أنه ماهر بين الأنام، وإذا دخل عليه صوفى تكلم معه في معارج الرجال بالأدلة القرآنية، حتى يؤمن أنه عارف متمكن وهو خير إمام.

ويكلم العامى بلسانه والسودانى بلغته وهكذا كل طبقة باصطلاحاتها الكلامية، فكنت ترى في مجالسه الغرائب والعجائب من الخاص والعام، وكان عنده مترجم يفهم الكلام باللغة الانجليزية، فكان كل طبقة يصل إليها نصيبها على التمام، ومن حكمته العلية أنه أخذ الطريق عنه كل الرجال في عصره وأجازوه بها وشهدوا له بالتقوى والقبول التام، فعنده الإجازة الشاذلية والرفاعية والأحمدية، وطريق الغزالي حجة الإسلام، فلا يصل عليه صاحب طريق إلا ويقول له: أنت أخى في الطريق وحبيبى لأنك تحب الصوفية، حتى صار الكل يحبونه ويقدمون له كل إكرام، وقد كان يقول: يجب على الشيخ أن يكون ملماً بجميع طرائق الصوفية، فالذى عرف طريقاً واحداً لم يسلك معه إلا القليل من الأنام لأن كل إنسان له استعدادة وفطرة خصوصية، يناسبه طريق خاص من طرق السادة الكرام، والكل يستمدون من سيد الخلق والجميع في يقظة والخلائق نيام.

اللهم أمدنا بنفحات السادة العزمية، حتى نكون في شوق إلى الله وغرام.

يوم من حياة الإمام أبي العزائم

ومن العجائب أن الأستاذ كان ينزل قبل الفجر للصلاة فيصلى السنن في جماعة عمومية، ثم تقام الصلاة ويصلى الصبح في أول الوقت مع الخشوع وحضور الأرواح، ثم يختم الصلاة بالأذكار فتشرق الأنوار الإلهية، ومن حضر فاز صدره بالانشراح، فإن أشرقت الشمس أمر بإحضار الطعام وأكل مع الإخوان بالسوية، ويتعهد الجميع ويحييهم بالكلمات الملاح، ثم يأمر بإحضار القلم والقرطاس فيملى ما يناسب الوقت من الأدوية العلمية، فيكتب في التفسير ثم في الحالة الحاضرة وقصده الإصلاح، ثم يكتب البريد إلى الأقطار الإسلامية مزودة بالنصائح يدعوا فيها إلى الرابطة وهي أساس النجاح، ثم يصلى صلاة الضحى ويستريح وبجانبه من يتلو له في المصحف الآيات القرآنية، أو أحاديث سيد المرسلين أو كلام الصالحين أهل السماح، فإذا جاء الظهر صلى السنن القبلية، ثم تُقام الصلاة ويصلى الفرض والسنة البعدية والإخوان في انشراح، ثم تختم الصلاة ويدخل حجرته الخصوصية، فينصح السيدات بإقامة الصلاة وطاعة الزوج فإن نتيجة ذلك الرضا والأفراح، فإذا جاء وقت العصر صلى بالإخوان السنة القبلية، ثم يصلى العصر ويختم الصلاة ويجلس كالكعبة التي تطوف حولها الأرواح، ويدعوا بالمصحف الشريف فيتلو الآيات ويشرح الغامض منها ويبين الأسرار الخفية حتى كأننا بالحرم وفي كل قلب مصباح.

وكان يؤكد على الإخوان في المداومة على قراءة القرآن مع الآداب الكلية، ويقول: استحضروا أنكم تسمعون منى القرآن أو تقرؤونه على فالاستحضر هو المفتاح. ثم يأمر بإحضار العشاء فيجلس مع الإخوان وهم حوله في المسرات القلبية، وينادي: أحضروا فلاناً وفلاناً ويمكن حتى يحضر الكل بكل ارتياح، ثم يصلى المغرب والسنة في جماعة كلية، ويختم الصلاة ويأمر بقراءة الصلوات التي طيبتها قد فاح، ثم يصلى العشاء ويختم الصلاة ويبقى الوتر لخلوته الفردية ثم يبدأ الدرس ببيان الأحكام والأحاديث الصحاح، ثم يقوم

بالذكر في نشاط وهمة كلية ويقول في الذكر ما يفيضه مولاه من كنوز الفتاح، ثم يدخل الخلوة ويدعوا أهل الفهم والأذواق الخصوصية، ويملى ما يتجلى له من المعانى التى تعجز عن وصفها الشراح، فإذا ذهب نصف الليل دخل منزله الخاص لصلاة الوتر ومناجاة الذات العلية، ولا يزال فى شوقه وغرامه إلى طلوع الصباح.

اللهم اجعلنا من المحبوبين لأهل الحضرة العلية، الفائزين بالنجاح والفلاح.

يقظة فى استغراق

ومن العجائب أن الأستاذ يكون مستغرقاً فى المشاهد القدسية وهو ثابت حاضر قواه فتراه يسألك عن التجارة ويرشدك إلى المصالح التجارية، ويسألك عن أولادك وأهلك ويرشدك إلى ما تتمناه، وكان بعد صلاة التراويح يصلى بالإخوان صلاة التسابيح المروية، وهو فى غاية النشاط والإقبال والشوق إلى الله، ومن المواهب التى امتاز بها الأستاذ أنه لا يرضى أن يتكلم أحد فى مجلسه فى أحد بأى كيفية ولو كان من أشد خصومه فى الحياة.

طريقة الإمام أبى العزائم وكلامه

أما طريقة السيد رضي الله عنه فهى على الكتاب والسنة وأئمة السلف فى مناهجهم العلمية، والأخذ بالعزائم فى سائر الأعمال، وأما كلامه فإنه عجيب تهتز له اللطائف القلبية، ويبعث النور فتأنس به الأرواح، قال رضي الله عنه فى حكمه المروية: محمد ماضى برىء ممن يفرق بين مسلم ومسلم لسبب فى النفوس والأشباح، اعتقد أن كل مسلم خير منى ولو أرتكب الكبائر غير الشرك برب البرية، لأنه الله قد اختاره للإسلام لسر بينه وبينه لا يعلمه إلا الفتاح.

ومن نصائحه قال: رغبوا الأمة في فضل الله واسع العظيمة، وذكروهم نعم الله الذي صورهم في الأحشاء، فالعارف من يوسع للأمة باب الصلح ولا يشدد في نصائحه الوعظية، وإذا خلا بنفسه شدد عليها وسقاها من الدواء.

كلامه في تفسير القرآن

فقد حل مشكلات كثيرة تعجز عنها العقلاء، فترسم مثله خطى الرسل فاقتداؤك بالأنبياء فيه راحة لنفسك الزكية.

كلامه في الحديث

ألا وإن للأستاذ فتوحات في فهم الآيات والأحاديث النبوية تدل على أنه مخطوب العناية مأمون على الأسرار، قال في معنى قول رسول الله ﷺ: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس).

قال ﷺ: الجهاد الأصغر بالسيف والمدفع يفتح علينا البلاد ويوسع الملك والمالية، والجهاد الأكبر يفتح كنوز السماء وغيوب الملكوت وأسرار الغفار، فمن فتح له كنز قلبه يرى الدنيا ضيقة مهما اتسعت مساحتها الأرضية، ويرى انشراحاً وفلاحاً ورفعة وتتجلى له الأسرار في الأقدار.

وقال ﷺ: إن السر في وصول السالك إلى مراتب الصديقية، هو الأدب مع الأستاذ ومع رسول الله ومع مولاه فالأدب مع المرشد هو الأساس الموصل إلى المراتب العلية، ومن لم يتأدب مع المرشد سقط من عين الله.

معارج الأولياء

قال رضي الله عنه : للأولياء معارج توصلهم إلى المراتب العلية:

أولها: أن يكون في حضرة الله كالطفل لا يعارضه في شرع ولا قضاء، ويكون مع الخلق رجلاً واقفاً على الحدود الشرعية، يعطى لكل شخص رتبته في الوجود كما هي عادة أولياء الله، وعند ذلك يأمنه الله على أسراره الخفية ويدفع عنه الأعداء ويحفظه من نفسه وهواه.

المعراج الثاني: وهو أعلى من الأول عند أهل العطفية، أن يشهد نفسه كالجنين في بطن أمه يصوره المصور ويتولاه، وعند ذلك يكشفه الله بأنوار أسمائه القدسية، فيشاهد أنوار الحق الحى القيوم الذى أحياه، ويشاهد دفاع الله عنه وهو في ظلمة الحشا وعنايته الكلية، فيطرق رأسه دائماً خوفاً من جلال علاه.

المعراج الثالث: أن يشهد نفسه تراباً ببطون العناصر الأرضية، فيشاهده الله أنوار سره الجامع الذى جمع حقائقه وقواه، ويشاهد معانى لطفه وكرمه حيث أنبتته من الأرض كشجرة نباتية، وصاغه بيديه وجعله مملوء بالثمار التى هى من واسع عطاياه، فالإنسان شجرة ثمارها لله المنزه عن الخواطر الوهمية، فمتى أكل العبد من تلك الثمار خرج من جنة رضاه، ففى الإنسان جمال وسمع وبصر وروح نورانية، فانسبها لله ولا تنسبها لنفسك إن كنت تخافه وتخشاه.

المعراج الرابع: أن تقرأ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ مريم ٦٧، فيرجع للعدم الصرف، وعند ذلك يفتح الله له الكنز الغالى فينال غناه، وبالاختصار من لم يأخذ عن العارفين مات وهو مصر على الكبائر النفسية، مهما تعلم من العلوم الظاهرة وصار عظيم الجاه.

إن ترد أن يكون ربك راضى وتعافى من سائر الأمراض
فتمسك بهدى وارث طه شمس حق أبو العزائم ماضى
وتمثل كماله وتجمل من معانيه تلق خير المراضى

كلام الأستاذ

واعلم أن كلام الأستاذ بحر واسع حوى كل ما يحتاج إليه طالب الحقائق الإنسانية، ففيه الحكم التى تغذى الأرواح بمعناها المفاض من الفتاح، وفيه الدرر التى تنور العقول فتدرك الدقائق الخفية، وفيه الأدوية التى تزكى النفوس وتنشط الأشباح، وفيه الكلام المبين للسير والسلوك وعقبات الطريق التى يخافها الصوفية، وفي كلامه ما يبين آيات الله وتجليات فالق الإصباح، وفي كلامه ما يذكر بأيام الله والمواقف الأخروية، وفيه ما يشرح أطوار الإنسان بدأ وختام، وما أودع فيه من الصلاح والإصلاح، فكلام الرجل مجموعة شاملة كلية، فيها لكل حقيقة ما يناسبها من الدواء أو الغذاء أو الإصلاح، فأعط كل إنسان ما يناسبه بقدر مواهبه الفطرية، ولا تتكلم مع أهل العقول بكلام أهل الأرواح، فسعادة الأمة أن يكون تلاميذ الرجل حكماء لهم فراسة ذوقيه، حتى يمكنهم أن يسعدوا الأمة بهذا الراح، وقد قال لى: (يا ولدى لا يضع الرجال إلا طيش التلاميذ وترك محافظتهم على كمالته العلمية، فقد يمدحوه فوق عقل السامع فينفر ويصير خصماً حاملاً للسلاح، وقد يقرأون الكلام الخاص بالروح عند أهل العقول فتقع المنازعات القوية، وقد يتخلقون بأخلاق شاذة تنفر من معاشرتهم قلوب أهل الصلاح، وقد قال الإمام الشافعى: إن الإمام الليث أفقه من الإمام مالك فى مواهبه الإلهية، ولكن تلاميذ الإمام الليث أضاعوه وفرطوا فى علمه وهو فى العالم مصباح، فيا آل العزائم قد أعطانا الله مائدة تتسع لجميع طبقات النفوس البشرية، فسيروا على قدر العقول واتركوا المبالغة فى الأستاذ وتواضعوا حتى تنهضوا بالعالم إلى النجاح.

من كلامه في الوحدة الإسلامية

ومن قوله رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه: (المسلمون كالجسد الواحد)، في الرابطة والمصالح الاجتماعية، فكل العالم الإسلامي كالأعضاء تساعد الجسد في الغدو والرواح، فمنهم من هو بمنزلة الروح النورانية، ومنهم من هو بمنزلة العقل في الإصلاح، ومنهم من هو بمنزلة العين النظرية، ومنهم من هو بمنزلة السمع المتلقى الأحاديث الصحاح، ومنهم من هو بمنزلة اليد أو القدم والكل له منفعة عمومية، ولكن الفرق بين الأعضاء واسع يعرفه الشراح فالظفر له منفعة، والعين لها منفعة، وشتان ما لكل من المزية فانزل كل إنسان في رتبته لتحيى في ارتياح.

قال رضي الله عنه: (انزلوا الناس منازلهم)، يعني بالعدل بين البرية فاعمل بسنة طه تدخل في زمرة أهل الفلاح، واعلم أن إحسانك لإخوانك هو إحسان لنفسك إن كانت نفسك نورانية وإساءتك إلى إخوانك إساءة لنفسك فكُن من أهل السماح ولو أنعم الله على أخيك فاعتبره عضواً فيك وصلت إليه العطية فأفرح به وكن في بهجة وانشرح، وإن رأيت أخاً أذنب أو مرض فاشهد أنه عضو في جسدك لحقت به البلية، واطلب له من الله العفو والرضى والفلاح.

اللهم نفعنا بنصائح الأستاذ النورانية، حتى يروق لنا الشراب في الأقداح.

منهج الأستاذ في الدعوة

إن الله وهب للأستاذ عيناً في رأسه يشهد بها الآثار الكونية وعيناً في قلبه يشهد بها أحوال البرزخ وما فيه من الأسرار، وأعطاه عيناً في روحه يشهد بها الغيوب السماوية وعيناً في سره يشهد بها وجه ربه ويتنعم بالأنوار، فالعارف عيونه كثيرة وأسراره خفيه يطلعه الله على أسرار الغيوب لكثرة العبادة والأذكار، فتتجلى لقلبه الآخرة فيفر إليها من القواطع الدنيوية ويتجلى له جمال الله فيفر من الجنة إلى ربه الستار.
قال الأستاذ:

غيرى يميل إلى الجنان ويرغب وأنا الذى منها أفر وأهرب
الكل طمعاً فى الجنان تعبدوا وأنا القليل بحبه لا تعجبوا

قال الأستاذ السيد محمد ماضى: حال رجل صادق فى ألف رجل من أهل النفوس البشرية، خير من ألف عالم يعظون رجلاً بظواهر كلامهم ولم تظهر منهم الأسرار.

وكنى أرى الأستاذ يخاطب الناس بلغة بسيطة عادية فأرى كأن روحاً سرت فى قواهم فانشرت صدورهم وتنوعت أخلاقهم وحنوا إلى الطاعة والأذكار، ولقد كان للأستاذ أمثلة قريبة تريح القلوب راحة كلية وذلك من علامات الميراث التام وعلو المقام، قال عليه السلام: إن الإنسان إذا أعطى وجهه للشمس كان ظله تابعاً لحركته الشخصية، وإذا أعطى ظهره للشمس كان ظله سابقاً له فى الأمام فإن وجهت قلبك إلى الله كان رزقك وعمرك مثل الظل وراءك فى التبعية، وإن وجهت قلبك إلى الأكوان أعرض عنك الحنان وحجبك ظل الكون عن الواحد العلام، فتوجه إلى الله تجد كل شىء ساعياً خلفك مُسخرًا لك بالحكمة العلية، إن عملت بهذا المثل فأنت العارف الهام.

وقال ﷺ: لو ألقيت للفراخ قمحاً ومعه درراً جوهرياً لالتقطوا القمح وتركوا الدرر تحت الأقدام، كذلك بعض النفوس لا يقدرّون الحقائق لجهلهم بمعانيها العلية، فلا تضع المعاني العلية إلا عند أهل الأفهام.

وقال: إذا وجد الإنسان جوهرة في مزبلة طأطأ رأسه وأخذها واعتبرها عطية، كذلك إذا وجد الإنسان حكمة عند أى مخلوق أخذها ولو كان دونه في المقام.

وقال ﷺ: إن طريق الوصول أسس على حديث مروى عن خير البرية، سأل رسول الله ﷺ السيدة عائشة فقال لها: متى يكون الرجل محسناً يعنى مشاهداً للحضرة العلية؟ فقالت: إذا رأى نفسه مسيئاً يا سيد الرسل الكرام، فقال لها: ومتى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: إذا رأى نفسه محسناً في مساعيه الكلية، فقال: صدقت يا بنت الصديق فقد عرفت باب السلام). فالإحسان الذى يحصل من العبد إنما هو بتوفيق الله وهدايته الإحسانية، فيجب عليه أن يشكر الله على ذلك وهو غافر الآثام فالذين شهدوا الإحسان لأنفسهم هم المسيئون في نظر الحقيقة واقعون في أوهام.

قال الأستاذ: لا تفرح بالعمل إلا إذا تحققت بالإخلاص فيه من كل دسيسة نفسية، ولا تفرح بالإخلاص إلا إذا تحققت بقبول الله فيه على الدوام، ولا تفرح بقبول الله فيه حتى تفرح بالله الذى أقامك عاملاً له بشرف العبودية، إذا عرفت ذلك رفعت لك بين العوالم أعلام.

وفاة الأستاذ

دعا الرب الكريم الأستاذ إلى حضرة القدسية، فلبى بشوق وهيام وغرام، وكان آخر كلمة قالها الأستاذ وهي بالسند مروية تدل على تمكنه في المكانة والمقام:

مولاي أنت وليي والوكيل فكن عوناً لنا يسرن يا سيدي سؤلي
كونوا مع الله في أدواركم فعسى أن تمنحوا فضله بالحوّل والطول

ولقد أنتقل الأستاذ إلى رحمة الله الواسعة ونفسه راضية مرضية وذلك سنة ١٣٥٦ هـ في يوم ٢٨ رجب على التمام، فيكون عمره المبارك سبعون عاماً قمرية ملاً فيها طباق الأرض علماً، وطوايا القلوب بالأسرار والحكم والأحكام.

الخاتمة

كان الأستاذ من أكمل المتأدبين مع الله ورسوله وأهل المقامات العلية، وأنه هو الخائف من الله المراقب لعظمة ذي الجلال والإكرام، وأنه هو من أكبر نعم الله وأعظم هدية، وأنه نفحة من رسول الله للإسلام، فابحثوا عن أقواله فهي كالكواكب الدرية، واحفظوها من الجهال فإنهم عن الحقائق نيام.

* * *